

هل ما يتم في المنطقة والخليج تحديدا "واقعية سياسية"؟ وهل "التبجح" بالتفاعل مع الكيان الصهيوني حلا لمشاكل المنطقة وحفظا لدم العربي والفلسطيني؟

عبدالوهاب الشرفي

كنت كتبت مقالا - نشر في رأي اليوم - عن زيارة رئيس وزراء الكيان الصهيوني لسلطنة عمان ومما قلت فيه ان هذه الزيارة سيتم اخرجها ضمن صورة التوسط بين الفلسطينيين وبين الكيان الصهيوني وهوما تم وما لايزال يديدن حوله عدد من الكتاب في محاولة لجعل الخطوة تمر كخطوة طبيعية وعادية وكلما فيها انها تستفز المزاج الشعبي لكن بالنسبة للحكومات فهي خطوة تتسم بالواقعية السياسية والتعامل مع ما ليس منه بد وفيها حل لمشاكل المنطقة وحفظ لدماء العرب والفلسطينيين .

دخلت المملكة المتحدة على المنطقة بمدخل الثورة العربية الكبرى وتمكنت من تهئية المنطقة برفع اليد العثمانية عنها وتحويل المنطقة الى تركة وكل تركة يتم تقسيمها , لكن بريطانيا العظمى لم يكن يعنيتها ثورة عربية كبرى ولا صغرى وانما كان يعنيتها تنفيذ وعد مدفوع الثمن لها , وعد بلفور الذي كان التزما عليها دفع ثمنه الصهاينة مالا للخرينة البريطانية ومواقفا بادخال امريكا الى جوارها في حرب كادت تودي بها في الحرب العالمية ودورا بالعبث داخل المانيا الهترلية بما يضعفها لصالح بريطانيا .

استخدمت بريطانيا تطلعات بعض العرب ودعوتهم لثورتهم التي كانت نتيجتها الاولى تحويل المنطقة الى تركة , وفي سبيل ذلك كانت بريطانيا هي الداعم للجميع , من الشريف الحسين ابن علي الى عبدالعزيز ال سعود الى الادريسي الى السلطان تيمور الى الامام سالم الى فيصل ابن الحسين وعبدالله ابن الحسين الى اسر ال وال في الخليج وهي كثيرة الى جمال باشا الى بشوات مصر , ثم بدء توزيع التركة على غير اسس الثورة العربية وانما على مبداء الموقف من ارض فلسطين ومن المصالح البريطانية وكعنوان عريض الموقف من وفاء بريطانيا بوعدھا للصهاينة , وفي ضوء هذا المبداء اطيح بمن اطيح وثبت من ثبت من هولاء والمعيار هو(لا مانع لدي من منح فلسطين للمساكين اليهود ولا اخرج عن امرها حتى تصبح الساعة) فبقي من قبل بهذا المبداء وكل من رفضه ازيح او وضعت له خطة خاصة به لإكمال تنفيذ الوعد , فذهب

الشيخ الحسين والادريسي ووفيل ابن الحسين وذهب الامام سالم وذهب كثير من ال ال اوجولت لفرع اخر من ذات الال , وسقط بشوات وحل محلهم بشوات وحتى تشكلت التركة على النحو الذي هو مرسوم حتى اليوم . لم تكن كل التركة وزعت على من قبل بذلك المبدأ اذا كان هناك اجزاء رافضة وكان لا بد من التعامل معها بطريق اخر وصولا لذات الهدف , واذا كانت دول الخليج العربي بكاملها تمت وفق هذا المبدأ - مع خصوصية لدولة الكويت في جانب الامتثال - فان الدول الاخرى المعنية تم التعامل معها باسلوب اخر وهو احتلال اراضيها ومع خصوصية ايضا في هذا الطرف لليمن والعراق من دول الجزيرة العربية .

طغى الكيان الصهيوني في يوم ما على محيطه مصر وسوريا ولبنان تنفيذا للخطة البديلة المعدة لغير القابلين بذلك المبدأ ومن ظلوا محتفظين بالقضية العربية والاستقلالية السياسية فيها عن بريطانيا وافلحت هذه الخطة مع مصر ولم تستعد ارضها الا بمقابل الاعتراف الرسمي بالكيان الصهيوني ونجاح تنفيذ الوعد البريطاني فيما يتعلق بمئر ولازال التعامل جاريا مع سوريا ولبنان ومع العراق واليمن على خصوصية المخطط بالنسبة لهما ولم يفلح حتى اليوم .

وحدها دول الخليج هي التي نجح تنفيذ الوعد عبرها بمجرد دعم شيخ كحاكم لدولة امام منافسية ولم يحتج الامر لاحتلال اراض او اقحام في صراعات وتأميرات لازالت مستمرة كدل اخرى , وكأن الأسر التي اصبح حاكم لدول الخليج حصلت عمليا على ما يشبه الوعد البريطاني بالتمكين لها كحكام بمقابل القبول والتعاون في تنفيذ بريطانيا لوعدها للصهاينة , وبذلك نفذت بريطانيا لوعدها للصهاينة ووعدها - المتصورة - للأسر الحاكمة للخليج في ذات الوقت .

فهم هذه القصة التي بدأت باستغلال حاجة المنطقة للفكاك من الحكم العثماني ودعم الثورة العربية الكبرى وخداع البريطانيين للعرب لتكون النتيجة فرض اتفاق (سايس وبيكو) وتسليم فلسطين للصهاينة وتوزيع الباقي بناء على المختصر السابق , سيمكن من فهم لماذا قلت انه بالنسبة لدول الخليج ليست القصة زيارة رئيس وزراء الكيان الصهيوني لعواصمها كعمان او زيارة وزيرة الثقافة الصهيونية للامارات والنكابة بادخالها لبيت من بيوت ابي - مسجد زايد - او استقبال الوفد الرياضي الصهيوني في الدوحة او احتفالات اليهود في المنامة وتصريح وزير خارجية البحرين تأييدا لزيارة نتنياهو لعمان , وانما القصة هي بدء الظهور العلني لهذه التفاعلات بين دول الخليج وبين الكيان الصهيوني و " التبجح " بها علنا رغم فهم موقف الشعوب .

بالنسبة لهذه الأسر الحاكمة في الخليج " التطبيع " بينها وبين الكيان الصهيوني تم منذ البداية بل كان هو السبب في التمكين لها لتحكم دولها الخليجية العربية وعدم الاطاحة بها امام منافسيها المذكور بعضهم اعلاه . والمسافة هي ما بين القبول المباشر الواضح بقيام دولة لليهود " المساكين " في فلسطين وبين رهن موقفهم بيد البريطانيين ومصير فلسطين ما تقرره بريطانيا . والجديد بالفعل هو التفاعل المعلن مؤخرا وليس من تحت الطاولة كما كان في السابق . والسؤال هو بالفعل حول خروج التفاعل الى العلن وليس عن التفاعل مع الكيان الصهيوني بشكل او بآخر .

عندما طفح الكيان الصهيوني على دول العرب المجاورة كان الامر مخططا لهدف فتح باب خروج التفاعلات للعلن فاحتلت سيناء والجولان ولبنان والاردن كانت قد علقت باكرا بالابتزاز السياسي بين حتمية تنفيذ بريطانيا لوعدها وبين قدسية المسجد الاقصى بالنسبة للمسلمين والعرب , وسقط في طريق هذا المخطط مصر وانشأت علاقات مع الكيان الصهيوني بشكل معلن بينما حررت لبنان ارضها بالقوة واحتفظت سوريا بشرف افشال المخطط وعدم مقايضة اعادة ارضها مقابل علاقات مع الكيان الصهيوني كما فعلت مصر وما نتج عنه من مخادعة حكومات هذه الأسر للشعوب باعلان المقاطعة لمصر , ومن الجدير بالذكر هو موقف سلطنة عمان بعدم المشاركة في هذه المقاطعة العربية لمصر اي ان السلطة لم تلجئ حتى للمخادعة وكان ما قامت به مصر من انشاء علاقة رسمية مع الكيان امرا مقبولا بالنسبة لها .

فتح باب العن بمصر وتبعه ازمة عربية تم الاستفادة منها في اخراج الرغبة لاغلب العرب الباقين وعلى قناعات متفاوتة في حل المشكلة وفق منطق الدولتين اولنقل وفق وعد بلفور البريطاني , وهذا هوالتاريخ باختصار وصولا لما نحتاج به اليوم من بعض الكتاب من " الواقعية السياسية " ودعونا نتناساه كلية وننتقل من " الواقعية السياسية " لتقييم الموقف الحالي , وهل الامر بالفعل واقعية سياسية ام خلق وصناعة واقع ساسي ؟ .

تبعنا لتلك الملابس التاريخية الواضحة التأمير , وقع المعني الاول اوبالاصح الممثل الاول للقضية الفلسطينية - الجميع معني بذات الدرجة - في الورطة علنا ووقع الفلسطينيون فاقدى الحيلة وفاقدى الموقف الساند من اكبر واغلب اشقائهم اتفاهم مع الكيان الصهيوني و- بتحفظ ضمني من سوريا واليمن والجزائر - ووقف باقي العرب والخليجيون في مقدمتهم عند نقطة الدولتين وما عرف بالقدس الشرقية والغربية ووصولا لتبني الملك عبدالمبارك مبادرة رسمية عربية تقف عن هذا الحد .

الشعوب العربية في مجملها وفي كل الدول العربية غير قابلة بهذا الحل و متمسكة بكامل الحق الفلسطيني العربي الكامل في كل ذرة رمل في فلسطين , لكن الحكومات اغلبها حدد موقفه بالدولتين والقدسين , وهذا الموقف الحكومي العربي الرسمي هوالذي نحاكم انطلاقا منه هذه الحكومات المنجرة للتفاعل مع الكيان الصهيوني علنا ومدى انطلاقها من واقعية سياسية ام من صناعة واقع سياسي ظل مخفيا منذ بداية القصة ويتم اخراجه رويدا رويدا .

عندما تم الايقاع بالفلسطينيين اعترفوا بالكيان ولم يعترف بهم , لم يتوقف الكيان عن اقتطاع الارض والاستيطان والتهجير ومحاصرة مدنهم وممارسة العقاب الجماعي بحق مدنيهم , لا يعترف بقدس شرقية ولا قدس غربية ويعترف بتل ابيب عاصمته , لا يعترف غير ب 50000 لاجئ فلسطيني , اعلن قانون يهودية الكيان , يهدم بيوت الفلسطينيين ويحفر تحت ويحرق المسجد الاقصى ويسلب الاوقاف الفلسطينية ويسلب المقدسات المسيحية . هذا هوالكيان من بعد نقطة محاكمة العربان عن " الواقعية السياسية " , وليس محاكمتهم انطلاقا من تطورات شعوبهم او انطلاقا من منطق الحق والعدل تجاه افصح جريمة في تاريخ البشرية .

منطق " الواقعية السياسية " يقول ان لا تفاعل مطلقا مع الكيان الصهيوني حتى يقبل بما يخصه مما قبل

به العربان كصفقة اوسلو, لكن ما يتم هو العكس تماما , الكيان لا يعير العربان اهتمام ويسير في كل ما سبق ذكره وغيره والعربان في صمت مطبق وتسليم كامل , فاين الواقعية السياسية من عدم مقابلة الاعتراف باعتراف بالدولة الفلسطينية واين هي من تمسك الكيان بالقدس عاصمة له , واين هي من اللاجئين الفلسطينيين الذي يرفض الاعتراف بهم فضلا عن ان يناقش اعداتهم , واين هي من الاستيطان الصهيوني وانتشار سرطان المستعمرات في اراضي الدولة الفلسطينية المتفق عليها , واين هي من محاصرة الفلسطينيين وتهجيرهم وممارسة العقاب الجماعي بحقهم في الداخل . ان كان هناك واقعية السياسية فهي ان يتمسك هولاء العربان بموقفهم الذي هو اساسا تقديم تنازل باهظ لصالح الكيان وحتى ينصاع لشروط الصفقة التي باتت مرعية دوليا وامميا وشبة عربية التي تمت معه , فالعربان قد اخلوا ساحتهم كمتهمين بانهم من يرفض السلام والحل وقبلوا بحل بات امميا ودوليا وحكوميا عربيا ومن يرفض الحلول السياسية هو الكيان المتمرد على كل ذلك وليس هم ليتنازلوا اكثر فاكثر , هذه هي " الواقعية السياسية " تبعا لسياسات العربان تجاه القضية الفلسطينية ولا غيرها .

وليت الامر توقف هنا بل في ظل كل هذا الجحود الكياني المهيمن " لواقعية العربان السياسية " هم مستمرين في صنع الواقع الذي يريده هو وبالجمان بل هم يدفعون ثمن للكيان ليصفع واقعتهم السياسية عرض الحائط , فا اتفاق تيران وصنافير تم بين اطراف كلها عربية لخدمة الكيان , وتمرير نقل سفارة الولايات المتحدة للقدس دون رد فعل , والتبليد تجاه قانون يهودية الكيان , وفتح الاجواء السعودية امام طيران الكيان , والاستثمار معه واستيعابه في مختلف الانشطة , والمناورات العسكرية معه والتهيئة لاستيعابه ببرامج متبناه رسميا بينها ما هو عسكري واستراتيجي , ومؤخرا استقبال رئيس وزرائه في عمان ووزيرة ثقافته في الامارات ووفودة المجتمعية في البحرين ووفدة الرياضي في قطر , كل ذلك يحدث والكيان يدوس " واقعتهم السياسية " برجلية , فعن اي واقعية سياسية يتحدثون .

انهم يصنعون واقعا سياسيا على ما يناسب هذا الكيان وبما يخرج ما هو مكتوم منذ البداية الى واقع سياسي في المنطقة , واقع يفرض على شعوب المنطقة القبول بان تكون فلسطين " للمساكين اليهود " كما قبل بها عربان الخليج طوعا كثمن لكراسيهم وقبل بها بعض اخر من العربان كحل لمشاكل ورطوا فيها في ظل صف عربي مهترئ كان اول اسباب اهترائه هو تخاذل عربان الخليج انفسهم .

الم يقل وزير الدولة للشئون الخارجية عندما سؤل عن زيارة نتنياهو لعاصمته : مالذي يمنع ؟ , كل هذا الدوس بالرجلين لواقعية العربان السياسية لا يمنع من وجهة نظره فاي واقعية سياسية هي التي يتحدثون عنها ويغالطون بها وهي تحت اقدام الكيان الصهيوني ؟ الم يقل هو وزير خارجية البحرين ان الكيان دولة من دول المنطقة ودولتكم الفلسطينية كواقعية سياسية يدوسها الكيان بقدمية , الم تستقبل الامارات وزيرة الثقافة الصهيونية وتطوف بها بيت من بيوت [] ولم ترعى الامارات دينها وحرمتها - دون مبرر حتى من واقعية سياسية لزيارتها لمسجد - والكيان يدوس واقعتكم السياسية ويعلن قانون (يهودية) الكيان , الم يحل وفد رياضي في الدوحة والكيان يدوس واقعتكم السياسية برجلية ويقصف

المحاصرين في غزة ويمارس ايشع عقاب جماعي بحقهم .

ليست واقعية سياسية ياسادة , وليست حلا لمشاكل المنطقة , وليست خدمة للقضية الفلسطينية كما طوعتموها من قبل , وليست حقنا لدماء العرب والفلسطينيين التي بات الكيان اساسا يعتمد عليكم في اهراقها ولم يعد يلطخ يديه الا في قليل , انه صنع واقع سياسي تبعا لرؤية الكيان والبريطانيين والامريكيين والفرنسيين الصهاينة , انه وفائكم بوعدكم الذي قطعتموه واضحا اوضمنا لبريطانيا العظمى الصهيونية ودفعت ثمنه لكم كراسي الحكم , دفعتم ثمنه من ارضكم وفي ارضكم ولما توفون الثمن .

ليست واقعية سياسية ولن تكون - وهو حديث اخر ساكتب عنه لاحقا ان شاء الله - بل هوصناعة واقع سياسي , انه ادخال لزناة الليل لغرفة " عروس عربتكم " وتغطية " الدياثة " - وعذرا في اللفظ - بمسك الخناجر والتنافخ شرفا بالحديث عن " الواقعية السياسية " لصون العرض " , لا اكثر . . فما اشرفكم !!

. ورحم الله مطفر النواب شاعر قصيدة " القدس عروس عربتكم " .

رئيس مركز الرصد الديمقراطي (اليمن)